



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فوائد الذكر

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70, 71]... أما بعدُ ، فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ الله ، وخيرَ الهدي هديُّ محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ ثُمَّ أَمَا بَعْدُ :

بينما الناس في غفلتهم راقدون، في غيهم سادرون، قد شغلتهم الدنيا وملذاتها، وأهتتهم الأموال والمناصب، في زمن طغت فيه الحضارة والمدنية، فأغرقت البشر لينساقوا خلفها لاهئين، قد تعلقت قلوبُ بالشهوات وتربعت على كثير من العقول الشبهات... مع هذا وغيره كان لا بد من وقفة تأمل ومراجعة وحديث حساب وتذكير، يرجع فيه المسلم لنفسه، يناقشها وينظر في صلاحها. ألا وإن القلوب تصدأ لقلة الذكر، ألا وإن جلاء قلوب الذكر لله سبحانه وتعالى، والعجب العجاب كيف يعيش الغافلون الساهون عن ذكره سبحانه وتعالى أموات غير أحياء، وما يشعرون آيان يعثون، ولقد امتدح الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين أولو العقول والألباب الذاكرين فقال ﴿إِن فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سِجَانًا فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: 190 — 191].

وهم أصحاب القلوب الرقيقة الرحيمة فلهم شهادة الله بالإيمان الحق ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَيْبِهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ﴿ أولئك هم المؤمنون حَقًّا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم ﴾ [الأنفال: 2 — 4].

أخرج مالك في الموطأ والترمذي والحاكم وصححه عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟)) قالوا: بلى، قال: ((ذكر الله تعالى)). وقد أخرج الترمذي والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ، فأخبرني بشيء أتشبه به قال: ((لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله)). قال شيخ الإسلام — رحمه الله —: "الذكر للقلب مثل الماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء".

وللذكر فوائد عظيمة، يضيق المقام عن إحصائها، بل يعجز القلم عن تصديريها، ويعجز العقل عن إدراكها، ولكن حسينا شيئاً من ثماره، وفوائده كما عدّها ابن القيم في الوابل الصيب:

منها: أنه يورث الذاكر القرب من الله، فعلى قدر ذكره لله عز وجل يكون قربه منه. أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خير منهم، وإن تقرب مني شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولاً)).

ومنها: أنه يورث حياة القلب وهو قوته، فإذا فقد العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته. روى الشيخان عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت)). ومن فوائد أنه مع البكاء في الخلوة سبب لإزالة الله تعالى العبد يوم الحر الأكبر في ظل عرشه. فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ((سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله)) وذكر منهم: ((ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه)).

ومنها: أن دوام ذكر الرب تبارك وتعالى يوجب الأمان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعاده، قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً ﴿ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾. [طه: 124 — 126].

ومنها: أنه لما كان الذكر متيسراً للعبد في جميع الأوقات والأحوال، فإن الذاكر وهو مستلقٍ على فراشه يسبق في الفضل والخير القائم الغافل. روى البخاري في صحيحه عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((من تعار من الليل

فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وهو على كل شيء قدير، وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: "رب اغفر لي". أو قال: "تم دعا استجيب له، فإن عزم فتوضأ، ثم صلى قبلت صلاته)).

ومنها: أنه سبب تنزيل السكينة، وغشيان الرحمة، وحفوف الملائكة بلحقات الذكر، ومجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس اللغو والغفلة مجالس الشياطين، فليتخير العبد أي مجلس يعجبه، أن يكون مع أهل الدنيا أم مع أهل الآخرة ونورها. روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أنهما شهدا على النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: ((لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده)).

ومنها: أن الذاكرون هم السابقون يوم القيامة. روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة، فمر على جبل يقال له جمدان فقال: ((سيروا، هذا جمدان، سبق المفردون)) قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: ((الذاكرين الله كثيراً والذاكرات)). قال ابن مسعود رضي الله عنه: (إن الجبل لينادي الجبل باسمه، يا فلان هل مربك أحدٌ ذكر الله عز وجل، فإذا قال نعم: استبشر).

ومنها: أنه يحط الخطايا ويذهبها. روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحدٌ أفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك، ومن قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياها، ولو كانت مثل زبد البحر)).

ومن فوائد الذكر أنه سدٌ بين العبد وبين جهنم — والعياذ بالله —، فإذا كان ذكراً دائماً محكماً، كان سداً محكماً لا منفذ فيه، وإلا فيحسبه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((خذوا جنتكم)) أي ما تستترون به وتتقون به، قالوا: يا رسول الله، أمن عدو حاضر؟ قال: ((لا، ولكن جنتكم من النار، قولوا: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فإنهن يأتين يوم القيامة معقبات مجنبات، وهن الباقيات الصالحات)).

ومنها: أنه يزيل الهم والغم عن القلب ويجلب له الفرح والسرور والبسط. قال تعالى: ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ [الرعد: 28].

ومنها: أنه غراس الجنة. أخرج الترمذي من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لقيت إبراهيم ليلة أسري بي فقال: يا محمد، أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر)).

ولقد عدَّ ابن القيم أكثر من سبعين فائدة للذكر في كتابه "الوابل الصيب من الكلم الطيب"، قال الله تعالى للذاكر. قال تعالى: ﴿فأذكروني أذكركم﴾ [البقرة: 152] قال ابن القيم: "ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بما فضلاً وشرافاً". قال

أبو الدرداء رضي الله عنه: "لكل شيء جلاء، وإن جلاء القلوب ذكر الله عز وجل". وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: "ما عمِلَ العبد عملاً أبغى له من عذاب الله، من ذكر الله".

كن ذاكراً وكن كباقي الأشياء في الكون كل شيء يسبح بحمد الله، الطير في الهواء، والحوت في الماء، والنملة في جحرها، الدواب والشجر، الجبال والحجر، الهواء والماء، الأرض والسماء قال الله تعالى: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ [الإسراء: 44]، ويبقى هو أسير الغفلة والهوى، صريع الجهل والنسيان. بل كن ذاكراً حامداً شاكراً لله سبحانه وتعالى يقول الله عز وجل: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون﴾ [النور: 41].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية: الحمد لله على فضله وإحسانه، وأشكركه على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وسلم تسليماً كثيراً.

هذا وأعلموا أيها المسلمون: أن الله سبحانه وتعالى أمرنا بالصلاة والسلام على نبينا محمد، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، في كتابه فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة الأحزاب آية 56]... اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد. اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه وسلم صلاة وسلاماً دائماً متلازمين إلى يوم الدين.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل آية 90]، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [سورة العنكبوت آية 45].